ماركوس ريجولوس نموذجًا للأخلاق الرومانية في كتاب الواجبات لشيشرون

د/ أميرة قاسم الحدينى

أستاذ مساعد كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة ماركوس ريجولوس كنموذج للأخلاق الرومانية من خلال كتاب الواجبات عند شيشرون؛ وكان ماركوس أتيليوس ريجولوس واحدًا من القادة العسكريين الذين يشهد لهم التاريخ الروماني بالبطولة؛ فقد كان رجل دولة وقائد عسكري، شغل منصب قنصلاً للجمهورية في عامي ٢٦٧– ٢٥٥ ق.م، وقضى جزءًا كبيرًا من حياته المهنية في محاربة القرطاجيين خاض فيها معارك طويلة استطاع من خلالها أن يحقق لروما السيادة على الجزء الغربي للبحر المتوسط والذي كانت تنافسها في السيادة عليه قرطاجة.

ومن أهم المعارك التى خاضها ريجولوس ضد قرطاجة هي معارك الحرب البونية الأولى، وهي واحدة من ثلاث حروب دارت بين روما وقرطاجة، وقد أبلى ريجولوس بلاءًا حسنًا في معاركه ضد القرطاجيين؛ فقد استطاع شن غزو على شمال أفريقيا، انتصر فيه، على القرطاجيين، وقام بتدمير الريف القرطاجي وأسر عدد كبير منهم ثم استولى على تونس ودخل في مفاوضات مع قرطاجة التى طلبت السلام ولكنه عرض شروطًا قاسية للغاية تم رفضها، وخاض معركة أخرى مع قرطاجة في نهر باجراداس استعانت فيها قرطاجة بالقائد الأسبرطى زانثيبوس وجنوده المرتزقة، والذي استطاع هزيمة ريجولوس وأسره.

وقد عانى ريجولوس كثيرًا في الأسر بسبب الإهمال وسوء المعاملة هناك، وقد أعاده القرطاجيون إلى روما للتفاض على أن يبادله الرومان بأسرى قرطاجيين وهو ما قوبل من السيناتو بالرفض وعلى أثره قام ريجولوس بالوفاء بقسمه وعاد للأسر مرة أخرى يواجه التعذيب حتى مات في الأسر.

وهو ما ورد ذكره في كتاب شيشرون (الواجبات) تلك الأطروحة التي كتبها عام ٤٤ ق.م والتي يوضح من خلالها موقف ريجولوس الذي يرى فيه بطلاً ورمزًا تاريخيًا للقائد العسكري الذي يحافظ على القيم والأخلاق الرومانية؛ حيث توقف شيشيرون عند المواقف التى اتخذها ريجولوس والصعوبات التي واجهها في سبيل الوفاء بقسمه والحفاظ على مجد روما وعظمتها وتفضلها على مصلحته الشخصية، وهو ما اعتبره شيشرون مثالاً يجب أن يحتذى به للقائد الروماني ونموذجًا للأخلاق الرومانية الحقيقية.

الكلمات الرئيسية:

ماركوس ريجولوس – قرطاجة – الحرب البونية الأولى– زانثيبوس– شيشرون – مجلس السيناتو– كتاب الواجبات لشيشرون– أسبرطة.

مقدمة:

شهد التاريخ الرومانى العديد من الأبطال والقادة العسكريين الذين قدموا أروع البطولات، وحققوا أمجادًا لروما، وهو ما توقف عنده المؤرخون والكتاب لتسجيل تلك المواقف والانتصارات التي حققها هؤلاء القادة العسكريين لوطنهم روما. ومن بين هؤلاء القادة العسكريين الذين ظهروا في فترة القرن ٣ ق.م هو ماركوس أتيليوس ريجولوس[١] Marcus Atelius Regulus (٢٦٧– ٢٥٥ ق.م)، رجل الدولة والقائد العسكري، والذي شغل منصب قنصلاً للجمهورية الرومانية في عامي ٢٦٧– ٢٥٥ ق.م، حيث أمضى جزءًا كبيرًا من حياته المهنية في محاربة القرطاجيين خاض فيها معارك طويلة استطاع من خلالها أن يحقق لروما السيادة على الجزء الغربي للبحر المتوسط والذي كان تنافسها في السيادة عليه قرطاجة. ومن أهم المعارك التي خاضها ماركوس ريجولوس ضد قرطاجة هي معارك الحرب البونية الأولى[٢]، وهي واحد من

(١) انتخب ماركوس ريجولوس رقيبًا عامًا عام ٢١٤ ق.م ثم قنصلاً للجمهورية في عام ٢٦٧ ق.م وقام خلال فترة قنصليته بشن العديد من الحملات مع قنصله المشارك لوسيوس يوليوس قيصر وحقق انتصارات وفي عام ٢٥٦ ق.م انتخب قنصلاً فعليًا بدلاً من كوينتوس كايديسيوس الذي توفى في منصبه. راجع:
Broughton, Thomas. Robert Shannon, (1951), The Magistrates of the Roman republic, vol. 1, New York, American Philological Association, pp. 200, 208.

(٢) يأتي مصطلح البونيقية (Punicus/ Poenicus) من الكلمة اللاتينية والتي تعنى "فينيقي" وهي إشارة إلى الأصول الفينيقية للقرطاجيين. راجع:

ثلاثة حروب دارت بين روما وقرطاج واللتان كانتا تمثلان القوتين الرئيستين في غرب البحر المتوسط آنذاك (أوائل القرن ٣ق.م) والتي استمرت لمدة ٢٣ عامًا في أطول صراع مستمر وأعظم حرب بحرية في العصور القديمة، حيث تنازعت القوتان على السيادة، وقد دارب الحرب في البداية على جزيرة صقلية في البحر المتوسط، والمياه المحيطة بها، وتقول المصادر أن ريجولوس كان قد أبلي بلاءً حسنًا في معاركه ضد القرطاجيين حيث استطاع ريجولوس مع أحد زملائه محاربة وهزيمة أسطولاً قرطاجيًا كبيرًا قبالة سواحل صقلية حيث معركة رأس أكنوموس Cap Ecnomus واستغل الرومان انتصاراتهم البحرية لشن غزو على شمال أفريقيا وهبطوا في أسبيس (Aspis) على الجانب الشرقي من شبه جزيرة رأس بون (Cape Bon)، وهو ما نتج عنه تدمير الريف القرطاجى وقد وقع في الأسر لديهم ما يقرب من عشرين ألف أسيرًا[١].

وقام القائد ريجولوس بالاستيلاء على تونس (Tunis) ودخل في مفاوضات مع قرطاجة، حيث طلبوا السلام لكنه عرض شروط قاسية للغاية تم رفضها[٢].

Sidwell, Keith C., Jones, Peter. V.: (1997), The World of Rome: An Introduction to Roman Culture. Cambridge Univ. Press, p. 16.

ويعتبر المؤرخ بوليبيوس (٢٠٠– ١١٨ ق.م) هو المصدر الرئيس تقريبًا عن الحروب البونية فهو يوناني أرسل لروما عام ١٦٧ ق.م، كرهينة، وقد اعتمد على كتاباته المؤرخ ليفي والمؤرخ اليوناني ديودور الصقلي، والكتاب اليونانيين اللاحقين مثل أبيانوس وديون كاسيوس. راجع:

Walbank. Frank: (1990). Polybius, vol. 1, Berkeley, Univ. of California Press; Gold Worthy, Adrian: (2006): The Fall of Carthage: The Punic Wars 265- 146 BC Orion Press, pp. 20- 23.

واتفق المؤرخون المحدثون أن روايات بوليبيوس عن الحرب البونية كانت موثوق بها بدرجة كبيرة. راجع:

Hoyos. Dexter: (2015). A companion to The Punic wars. Chichester, West Sussex: John Wiley Press, p. 102.

(١) عن المعركة التى دارت بين روما وقرطاج في شمال أفريقيا. راجع:

Scullard, H. H.: (1989), "Carthage and Rome". In Walk bank, F.W (eds.), The Rise of Rome to 220 BC. Cambridge Ancient History, vol. 7 (end. Ed). Cambridge Univ. Press, pp. 486- 572; Brougton, (1951), The Magistrates of the Roman Republic, pp. 208- 9.

(٢) ويرفض الكاتب سكولار ما ورد بأن الشروط التى فرضها ريجولوس في مفاوضاته مع قرطاجة كانت قاسية لدرجة تعادل الاستسلام الكامل بل اعتقد أنه ربما طلب الرومان من قرطاجة تسليم صقلية وهو ما رفضته قرطاجة لأنها كانت ترفض مغادرة النصف الغربي من البحر الأحمر. راجع:

Scullard, (1989), op.cit., p. 555.

وقد خاض ريجولوس معركة أخرى مع قرطاجة في نهر باجراداس[١]، لكنهم (القرطاجيين) كانوا في هذه المرة قد استعانوا بجنود مرتزقة من الأسبرطيين تحت قيادة زانثيبوس (Xanthippus) الذي قام بتدريب القرطاجيين على مستوى احترافي، حيث دخل الرومان مع قرطاجة في معركة تونس والتي هُزم فيها الرومان وأُسر القنصل الروماني ماركوس أتيليوس ريجولوس عام ٢٥٥ق.م، حيث يذكر المؤرخ ديودور الصقلي أن زانثيبوس كان زعيمًا لفرقة صغيرة من المرتزقة الأسبرطيين الذين جندتهم قرطاج أثناء الحرب[٢]. والذي تم تعيينه كمدرب أسبرطي من قبل القرطاحيين عام ٢٥٥ ق.م[٣]. وقد استطاع زانثيبوس Xanthippus إثبات جدارته من خلال تدريب الجيش القرطاجي، ويرجع المؤرخ بوليبيوس[٤] الفضل إلى زانثيبوس في تشكيل القرطاجيين في معركة تونس حيث استطاع هزيمة الرومان بقيادة ريجولوس والذي أُسر ونجا حوالي ألفي روماني فقط من المعركة تم التقاطهم من قبل البحرية الرومانية، وعانى ريجولوس في الأسر[٥] كثيرًا بسبب الإهمال وسوء المعاملة هناك، حيث إنه كانت تتم معاملته كأسير وليس كقائدعسكري، وقد أعاده القرطاجيون إلى روما بعد أن أقسم لهم بالعودة للتفاوض على أن يبادله الرومان بأسرى قرطاجيين يذكر شيشرون أنهم (٣٠٠) أسير وهو ما قوبل بالرفض من مجلس السيناتو وعلى أثره قام ريجولوس بالوفاء بقسمه وعاد للأسر مرة أخرى لمواجهة التعذيب داخل السجون القرطاجية حتى مات هناك، وقد وردت هذه الحادثة (الموقف التاريخي) – موضوع هذه الدراسة – للقائد ريجولوس في كتاب شيشرون "الواجبات"[٦] (De

---

(١) راجع: Scullard, (1989), op. cit., p. 556; Broughton, (1951), pp. 209- 10.

(2) Diodorus Sicullus, XXIII. 16.1.

(٣) راجع: Gold Worthy. Adrian (2012), The fall of Carthage: The Punic Wars 265- 146 BC. Orion Publishing Group, p. 87; Hanson. Victor Davis. (2007); Carnage and Culture: Landmark Battles in the Rise to Western Power, Knopf Double day Publishing Group, p. 112.

(4) Polybius, The Histories 32.1-9, 33-6-8.

راجع أيضًا:

Gold Worthy. (2006), The fall of Carthage, pp. 89-90.

(5) Drummond, Andrew, (2012). . "Atilius Regulus, Marcus in Hornblower, Simonietal (eds). The Oxford classical Dictionary, (4th ed.). Oxford Univ. Press.

(٦) كان شيشرون سياسي روماني ومحامي وخطيب شغل مناصب عضو مجلس سيناتو وقنصل. راجع:

Has Kell, H. J.: (1964); This was Cicero, Fawcett Publications, pp. 3330- 331.

Marcus Tuiliu Cicero and P.G. Walsh (2001) on Obligations, p. IX;

officiis) تلك الأطروحة التي كتبها شيشرون عام ٤٤ ق.م والتي يوضح من خلالها موقف ماركوس ريجولوس الذي يراه بطلاً ورمزًا تاريخيًا يستحق أن يكتب عنه شيشرون وهو ما تناوله في القسم الثالث من كتابه الواجبات، وقد اعتمد شيشرون في عمله هذا بشكل كبير على الرواية التاريخية الواقعية أكثر بكثير مما فعل في أعماله.

وقد توقف شيشرون في هذا الكتاب عند القائد ماركوس ريجولوس واتخذه مثالاً من التاريخ الروماني للقائد العسكري الذي يحافظ على القيم والأخلاق الرومانية حتى لو كلفه ذلك حياته، متنازلاً عن كل ما يسميه الآخرون بالمنافع (utilitas) أو المناصب أو غيرها من الأمور الأخرى التى كانت بالنسبة له (ريجولوس) زائفة[١]، وهو ما أظهره شيشرون في كتابه[٢] حيث توقف عند موقف ريجولوس مؤكدًا أن القرار الذي اتخذه ريجولوس بالعودة إلى قرطاج هو مثال ونموذج للقائد الروماني الذي يجب أن يحتذى به فهو الذي فضّل (آثر) إعلاء اسم روما ومجدها وعظمتها عن مصلحته الشخصية حتى لو كلفه ذلك حياته فهو يعتبر مثالاً للأخلاق الرومانية الحقيقية.

يبدأ شيشرون الحديث حول هذه القضية التي أثارت إعجابه بضرورة تنحية القصص والأساطير وما شابه ذلك جانبًا والدخول مباشرة في الحقائق والأحداث التاريخية التي تخص الرومان، كما يتضح من عبارته:

"sed omittamus et fabulas et externa; ad rem nostramque veniamus".[٣]

هذا العمل لشيشرون ينقسم إلى ثلاثة كتب يشرح فيها شيشرون مفهومه لأفضل طريقة للعيش والتصرف ومراعاة الالتزامات الإخلاقية.

Cicero, Miller: On Duty, Book III, v. 23 (L. C. L.)

(١) وقد رفض ريجولوس ما تم اقتراحه في مجلس السيناتو بعد رفضهم لما عرضه عليهم من تبادل للأسرى، حيث عاد مرة أخرى للأسر ورفض البقاء في الوطن والاستمتاع بكل ما كان سيحصل عليه. راجع:

Atkins. Griffin (1991), Cicero: on Duties, (Cambridge Text in the History of Political Thought), Cambridge Univ. Press, p. XXVI, XXX.

(٢) وتشكل كتابات شيشرون واحدة من أشهر مجموعات الأعمال التاريخية والفلسفية في العصر الكلاسيكي. راجع:

Rawson. Elizabeth: (1975) Cicero, A portrait, Allen Lane, Penguin Books, p. 303; Haskell, H. J.: (1964), This was Cicero, pp. 330- 331.

(3) Cicero, De officiis, 3. 99.

"فلنترك الأساطير والأمور الأخرى الخارجية جانبًا، ولنأتي إلى حقائق واقعية تخصنا في تاريخنا"

ومن ثم فإن الباحثة تدرك مكانة شيشرون السياسية والأدبية والفلسفية لكنها معنية في هذا البحث بمتابعة السياق التاريخي الذي ألف فيه شيشرون هذا الكتاب، فالفرق شاسع بين كتابة التاريخ والكتابة في سياق تاريخي.

فمن المؤكد أن شيشرون لم يكن مؤرخًا، لكنه لم يستبعد التاريخ من تأليفه أبدًا؛ ولذلك فلن تتناوله الباحثة كمؤرخ بطبيعة الحال، لكنها سوف تتناوله بوصفه مصدرًا تاريخيًا فيما يتعلق بحدث تاريخي واقعي حدث أثناء الحرب البونية الأولى[١] (٢٦٤-٢٤١ ق.م)، بين روما وقرطاجة، وكان بطل القصة التاريخية عند شيشرون هو القنصل الروماني ماركوس ريجولوس؛ الذي كان يقود الجيش الروماني في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة.

ولعل هذا الموضوع تناوله تناولاً بحثيًا سيكون من خلال الإجابة على عدة تساؤلات تتعلق بأحداث الحرب البونية الأولى كما عرض لها شيشرون، وكذلك لموقف ماركوس ريجولوس من هذه الحرب وهي: أولاً: ما هو سر تفوق الرومان في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة، ولماذا وقع القنصل الروماني ماركوس ريجولوس في الأسر؟

ثانيًا: ما دلالة استعانة القرطاجيين بقائد أسبرطي يدعى زانثيبوس لتدريب الجنود القرطاجيين، ورفع معنوياتهم، وإعادة بناء قوتهم من أجل مواصلة القتال ضد الرومان؟

ثالثًا: ما دلالة القسم الذي أقسم به ماركوس ريجولوس بالعودة إلى قرطاجة في حال عدم موافقة مجلس السيناتو على تبادل الأسرى؟

رابعًا: لماذا رفض القنصل فاركوس ريجولوس الإدلاء بصوته في مجلس السيناتو عندما عاد إلى روما؟

(1) Sidwell, Keith.; Jones. Peter. (1997), The World of Rome, p. 16;
Gold Worthy; (2006), The fall of Carthy: The Punic Wars, pp. 20- 23.

خامسًا: لماذا رفض مجلس السيناتو نفسه المقترح الذي قدمه ريجولوس بالموافقة على تبادل الأسرى بين الجانبين؟

سادسًا: ما هي المنافع التي وجدها ماركوس ريجولوس عندما عاد إلى روما وما رأيه في هذه المنافع، ولماذا عاد إلى قرطاجة طواعية دون أن يمارس عليه أحد ضغط في هذا الاتجاه؟

وللإجابة على السؤال الأول والذي يدور عن سر تفوق الرومان في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة، ولماذا وقع القنصل الروماني ماركوس ريجولوس في الأسر؟

بالنسبة للجزء الأول من السؤال عن سر تفوق الرومان في الحرب الأولى ضد قرطاجة. فإنه من الواضح أن الرومان حققوا أداءً جيدًا في الحرب البحرية في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة؛ على الرغم من أنه لم يكن في البداية القتال البحري جزءًا من آلة الحرب الرومانية، لكن نجاحهم فيه يوضح القوة الرئيسية للجيش الروماني، وهي الابتكار، حيث إن روما لم يكن لديها أسطول بحري دائم حتى بعد الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة في عام ٢٦٥ ق.م، مما يعنى أنه كان عليهم بناء أسطول كبير يكفي لهزيمة تلك القوة البحرية البارزة في العالم وهي قرطاجة؛ حيث تمكن الرومان من إنشاء أسطول مؤلف من ٣٠٠[١] سفينة في ثلاثة أشهر قادرة على مطابقة تلك السفن التي يمتلكها الأسطول القرطاجي من حيث العدد، وهو ما يظهر قدرتهم جنبًا إلى جنب مع مهارتهم الهندسية[٢] في إنتاج هذه السفن بكميات كبيرة في مثل هذا الوقت القصير.

وهو ما مكنهم من نشر قوة كان من المفترض أن يستغرق إنشاؤها سنوات عند مقارنتها بإمكانيات بناء السفن التي يتطلبها ذلك الوقت، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد تمكن

(1) Tipps. G. K. (1985), "The Battle of Ecnomus", Historia: Zeitschrift Fur Alte Geschichte, p. 434.

(٢) ويذكر المؤرخ بوليبيوس أن نجاح الرومان في بناء الأسطول لم يكن من قبيل الصدفة، حيث جنحت سفينة قرطاجية من طراز خماسي التجديف بالقرب من الإنزال الروماني في ميسانا واستولى عليها الرومان وأعادوا هندستها لتعلم كيفية بناء السفن البحرية. راجع:

Polybius, The Histories of Polybius, vol. 1-20; Golds Worthy, (2006), The fall of Carthage, p. 98.

الرومان من إجراء بعض التعديلات على سفنهم لتتناسب مع استراتيجياتهم القتالية الخاصة، فعلى سبيل المثال بدلاً من خمس[١] صفوف من المجاديف، كان لدى السفن القرطاجية سفن لها ثلاثة[٢] صفوف من المجاديف، وهذا يعني أن روما كانت تحتاج إلى مائة وثمانين مجدفًا ماهرًا فقط من أصل ثلاثمائة لتجهيز سفينة بكامل كفاءتها، بينما احتاج القرطاجيون إلى ثلاثمائة مجدف كامل ليكونوا ماهرين، وذلك لأن الرجال على مستويين من السفن الرومانية يمكنهم ببساطة نسخ حركات زملائهم المجدفين بدلاً من التجديف بشكل مستقل؛ كما جعل هذا التصميم السفن الرومانية أصغر في الحجم وأعرض على حساب السرعة.

كما اعتمدت روما من ناحية أخرى على قوة الجنود المشاة عندها، كما يتضح من تصميم السفينة التي تحمل فرقة من مشاة البحرية والتي كانت أكبر في العدد بست مرات من تلك التي عند القرطاجيين؛ كل هذا الاستعداد من جانب الرومان أدي إلى استطاعة الأسطول الروماني عام ٢٦٥ ق.م والذي أبحر بقيادة القائد الروماني ماركوس ريجولوس ومعه زميله لوسيوس لونجوس والذي كان يضم أكثر من ثلاثمائة سفينة حربية، ومائة وخمسون ألف رجلاً استطاعوا هزيمة القرطاجيين قبالة رأس أكنوموس[٣].

---

(١) كانت السفينة كونيكويرميس، التي تعنى "ذات المجاديف الخمسة" بمثابة العمود الفقري للأساطيل الرومانية والقرطاجية طوال الحروب البونية، وكان هذا النوع منتشرًا للغاية لدرجة أن بوليبيوس كان يستخدمه كاختصار لكلمة "سفينة حربية بشكل عام". راجع:

Golds Worthy. Adrian. (2006), The Fall of Carthage, p. 98, 100, 104;
Lazenby. John. (1996), The first Punic War. Pp. 27- 28;
Casson, Lionel, (1995). Ships and Sea man ship in the Ancient World, Baltimore, Johns Hopkins Univ. Press, p. 121.

(٢) تم الكشف عن سفينة ثلاثية المجاديف حيث يعتقد علماء الآثار أنها كانت سفن ترجع للأسطول الروماني. راجع:

Tusa. Sebastiano & Jeffrey (2012), "The land scape of the Naval Battle at the Egadi Islands (241 BC), Journal of Roman Archaeology 25. Cambridge Univ. Press, pp. 35- 36, 39- 42;
Murray William. (2011) . The Age of Titans: The Rise and Fall of the Great Hellenistic Navies, Oxford Univ. Press.

(3) Lazenby John. (1996), The First Punic War: A military History, Stanford, California Univ. Press, p. 87.
Tipps. G. K. (1985). "The Battle of Ecnomus". Historia: Zeitschrift fur Alte Geschichte. 34 (4): 432- 465, p. 459

مما سبق يمكن أن نستنتج أنه ربما كان السبب وراء تفوق الرومان في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة، هو قدرة الرومان على التكيف مع أي ظرف من الظروف، وخلق رد فعل مضاد لأي خطة يستخدمها العدو، وقدرته على استخدام تكتيكات عسكرية وأسلحة لم يسبق لها مثيل. أي أننا نستطيع القول أن تفوق الرومان يرجع إلى عنصرى الابتكار والمفاجأة.

كان هذا عن سر تفوق الرومان في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة، أما عن سبب وقوع القنصل ماركوس أتيليوس ريجولوس في الأسر؛ فإن الأحداث التي دارت بعد انتصار الرومان على قرطاجة عام ٢٦٥ ق.م بقيادة ماركوس ريجولوس قد تحدث عنها شيشرون في كتابه عندما أشار إلى هذه الحادثة التاريخية والمكيدة التي تعرض لها ماركوس ريجولوس، حيث ورد في إحدى فقراته:

"M. Atilius Regulus cum consul iterum in Africa ex insidiis captus esset duce Xanthippo lacedaemonio, imperatore autem patre Hannibalis Hamilcare,…." (١)

"ماركوس ريجولوس والذى كان في قنصليته الثانية عندما وقع في الفخ وأخذ أسيرًا في أفريقيا زانثيبوس، ذلك القائد الأسبرطي الذي كان يخدم تحت قيادة هاميكار والد هانيبال..."

كانت بمثابة تمهيدًا وطريقًا مفتوحًا إلى أفريقيا وغزو ما يسمى الآن تونس(٢)، حيث حققت الحملة الإفريقية التي شنها الرومان بقيادة ريجولوس نجاحًا كبيرًا قام الرومان فيه بتدمير الريف الإفريقي وحققوا انتصارًا ساحقًا أجبر قرطاجة على طلب السلام(٣)، ولكن عندما عرضت روما شروطًا عقابية مفرطة، لجأت قرطاجة إزاء هذا الاستعانة بالقائد الأسبرطي زانثيبوس(٤) لإعادة تنظيم جيشها، والتخطيط للدفاع عن أراضيها حيث قام زانثيبوس بتدبير خطة استدرج بها ريجولوس إلى معركة على أرض مفتوحة، حيث تغلبت أفيال(٥) الحرب القرطاجية وتفوقها في

(1) Cicero, 3. 99.

(2)Lazenby, John. (1996), The First Punic War, pp. 84 – 85; Walbank. Frank. (1990). Polybius, p. 10; Rankov, Boris, (2015); A war of Phases: strategies and Stalemates" in Hoyos Dexter (ed.). A companion to the Punic Wars. Chichester, west Sussex: John Wiley. P. 155.

(3) Gold Worthy, Adrian. (2006), The fall of Carthage, p. 87.

(4) Miles, Richard, (2011). "Carthage must be destroyed. London: Penguin, p. 188.

(٥) كان القرطاجيون يستخدمون الأفيال في الحرب حيث كانت غابات شمال أفريقيا يوجد بها أفيال. راجع:

سلاح الفرسان على الرومان، ولم ينج سوى ألفي روماني من قوة تجاوزت خمس عشر ألفًا[١] ليتم إجلاؤهم بواسطة الأسطول الروماني. وقد وقع القنصل ريجولوس في الأسر[٢]، والذي تعرض فيه لأشد ألوان العذاب والمعاملة السيئة من قبل القرطاجيين[٣]. ولم تكن هناك بروتوكولات أو معاهدات دولية تضمن حقوق هؤلاء الأسرى في معيشة كريمة أو حتى تحول دون إلحاق أكبر الأذى بهم.

مما سبق يمكن أن نستنتج أن وقوع القائد الروماني ماركوس ريجولوس في الأسر لم يكن دليلاً على فشله أو ضعفه في المعركة، لكنه نظرًا لما حققه من انتصارات على قرطاجة، جعلها تقف عاجزة أمام تقدمه، وهو ما دفعها للاستعانة بقوة خارجية وهو ذلك القائد الأسبرطي، والذي استطاع تدبير المؤامرة للإيقاع به في الأسر أي أن وقوع ماركوس ريجولوس في الأسر لم يكن ضعفًا منه وإنما كان مكيدة ومؤامرة مدبرة للإيقاع به أو على حد تعبير شيشرون الدقيق فقد وقع ماركوس ريجولوس في الأسر بسبب كمين (insidiae) نصبه له زانثيبوس ومساعدوه، وهو ما يؤدي بنا إلى السؤال الثاني وهو ما دلالة استعانة القرطاجيين بقائد إسبرطي يدعى زانثيبوس لتدريب الجنود القرطاجيين، ورفع معنوياتهم، وإعادة بناء قوتهم من أجل مواصلة القتال ضد الرومان؟

وفي إحدى الفقرات التي وردت عند شيشرون نجده يشير إلى الأسر الذي تعرض له القائد ماركوس ريجولوس على يد القائد زانثيبوس ويوضح في إشارته إلى أن زانثيبوس هو قائد أسبرطي كان يخدم في الجيش القرطاجي كمرتزقة تحت قيادة هاميلكار والد هانيبال.

Lazenby. John. (1996), op.cit., p. 27;
Bagnal. Nigel. (1999): The Punic Wars: Rome, Carthage and The Struggle for Mediterranean, London: Pimlico, p. 9.

(1)Miles, Richard, (2011): pp. 186- 189;
Tipps. G. K. (1985). "The Batlle of Ecnomus", p. 438;
Erdkamp, Paul, (2015), "Man Power and Food Supply in the First and Second Punic Wars". In Hoyos Dexter (ed.) A Companion to the Punic Wars. Chichester. West Sussex: John Wiley, pp. 58- 76.

(2)Geoffrey. Holsclaw. (2016), Transcending Subjects, Augustine, Hegel, and Theology, Wiley Press, p. 199.

(3)Bert. Mulligan, The first Punic War (264- 241 BC), Dickinson College press, Introduction;
Jonathan. Hughes. (2022), Dante's Divine Comedy in Early Renaissance England, The Collision of two Worlds, Bloomsbury Publishing, p. 157.

"Xanthippo Lacedaemonio, imperatore autem patre Hannibalis Hamilcare…."[١]

"زانثيبوس ذلك القائد الإسبرطي الذي كان يخدم تحت قيادة هاميلكار والد هانيبال"

ويبدو أن قرطاجة قد استعانت بالقائد الإسبرطي زانثيبوس، لما تعرفه من خلفية عن قدرة الجنود الإسبرطيين ومهارتهم في القتال، أما عن زانثيبوس نفسه، فقد كان ذلك القائد مرتزقًا إسبرطيًا استعانت به قرطاجة خلال الحرب البونية الأولى، حيث قاد الجيش القرطاجي إلى نجاح كبير ضد روما، واستطاع تدريب الجيش القرطاجي على مستوى احترافي قبل مقابلة الرومان في معركة تونس، والتي انتهت بانتصار القرطاجيين وأسر القنصل الروماني ماركوس يجولوس عام ٢٥٥ق.م.

ويذكر المؤرخ ديودور الصقلي أن زانثيبوس كان زعيمًا (قائدًا) لفرقة صغيرة من المرتزقة الإسبرطيين الذين جندتهم قرطاجة أثناء الحرب[٢]، حيث تم تعيينه كمدرب إسبرطي للقرطاجيين عام ٢٥٥ ق.م، وقد أشار إليه المؤرخ بوليبيوس[٣] في كتابته عن الحرب البونية أنه لفت انتباه القادة القرطاجيين لأول مرة عندما انتقد سلوك القادة القرطاجيين، حيث اتهمهم أنهم هم مَنْ تسببوا في هزائم قرطاجة السابقة وليس الرومان، وقد تم استدعاؤه أمام القادة القرطاجيين لتقديم خطته التي سيقوم على أساسها بتدريب الجنود القرطاجيين، وتم تعيينه في قيادة الجيش القرطاجي؛ على الرعم من القلق الذي تسبب فيه في البداية بين القرطاجيين من أن زانثيبوس لن يكون على مستوى المهة، إلا أنه أثبت نفسه وجدارته في وقت قصير من خلال تدريب الجيش القرطاجي بنجاح وحاز على موافقة الجميع[٤].

ويرجع بوليبيوس الفضل للقائد زانثيبوس في تشكيل صفوف القرطاجيين في معركة تونس[٥]؛ حيث قام بتنظيم فرق الجيش بوضع كتيبة المواطنين في وسط تشكيلته مع المرتزقة

(1) Cicero, 3.99.
(2) Diodorus. Siculus. XXIII. 16.1.
(3) Polybius, Histories, I. 32. 1-9, 33. 6-8;
Gold Worthy. Adrian, (2012): The Fall of Carthage, p. 87;
Hanson. Victor. Davis, (2007): Carnage and Culture: Landmark Battles in the Rise to Western Power, Knopf Doubleday Publishing Group, p. 128.
(4) Polybius. Histories. 1-32, 1-9.
(5)Polybius. I. 33. 6-8.

ذوي الخبرة الذين يمسكون بالجناح الأيمن، ووضع أفياله على مسافة مناسبة أمام الكتيبة، ووضع فرق الفرسان على الأجنحة ودعمهم بعدد أكبر من المرتزقة؛ حيث تمكنوا من استخدام تفوقهم العددي لإرباك نظرائهم الرومان، وقاموا بمهاجمة الأجنحة الرومانية وهزيمة القوات الرومانية(١)؛ ويذكر بوليبيوس(٢) أنه بعد هزيمة الرومان في معركة تونس أبحر زانثيبوس عائدًا إلى وطنه في بلاد اليونان.

وهناك تساؤلاً يطرح نفسه في هذا الصدد وهو لماذا استعانت قرطاجة بأسبرطي هل كان الأسبرطيون يعملون هكذا كجنود مرتزقة لدى الجيوش الأخرى؟ مع العلم أن زانثيبوس كان قائدًا وليس مجرد جندى محارب؟

وربما نحتاج للرد على هذا التساؤل بالتعرف على نبذة مختصرة عن الجيش الأسبرطي، ذلك الجيش الذي كان يمثل القوة الأساسية البرية لأسبرطة وكان يتألف من مواطنين مدربين على انضباطات وشرف مجتمع المحاربين(٣)، حيث خضع الأسبرطيون للتدريبات العسكرية الصارمة والمكثفة(٤) منذ الصغر، وأصبحوا من أكثر القوات العسكرية إثارة للخوف والرعب في العالم اليوناني، حتى أنه كان يقال عن الإسبرطيين "إن رجل إسبرطي واحد يساوي عدة رجال من أي دولة أخرى"(٥).

ومن هنا تتوصل الباحثة إلى أنه ربما كان السبب في استعانة قرطاجة بقائد إسبرطي هو لما كان للجنود والقادة الإسبرطيين من شهرة كبيرة في العصر الكلاسيكي؛ ولذلك عندما فشل القرطاجيون في مواجهة روما فقد رأوا أن يستعينوا بتلك القوة الكبيرة التي لها من السمعة والمكانة

(1) Goldworthy. Adrian. (2012), op. cit., pp. 89- 90.
(2)Polybius. I. 36-2.
وتتعدد الروايات التي تتحدث عن نهاية القائد زانثيبوس حيث يذكر ديودورس في روايته عن وفاة زانثيبوس بعد معركة تونس أنه توقف في مدينة ليليبايو (صقلية حاليًا) التي حاصرها الرومان غير أن سكان المدينة قدموا له سفينة بها تسريب، ويفترض أنه غرق في البحر الأدرياتيكي أثناء رحلته إلى منزله. راجع:
Diodorus. XXIII. 16.1.
(3)Connolly, Peter. (2006), Greece and Rome at War, Greenhill Books, p. 38.
(4) Hodkinson, Stephen. (1996), "Agoge". In Hornblower, Simen, Oxford Classical Dictionary, Oxford Univ. Press.
(5) Connolly, Peter, (2006), Greece and Rome at War, p. 38.

ما يمكن أن يردع الرومان – وهو ما استطاع القائد زانثيبوس تحقيقه بالفعل عندما استعان به القرطاجيون في معركة تونس –.

أما عن عمل الإسبرطيين كجنود مرتزقة لدى الجيوش الأخرى فقد كان في اليونان القديمة من النادر أن يخدم الإسبرطيون كمرتزقة وإن كان ذلك يتم بشكل قليل للغاية في المعارك وكانوا مطلوبين خاصة كقادة – مثل زانثيبوس – ولكنهم كانوا نادرين نسبيًا وربما يرجع ذلك في المقام الأول إلى البنية الاجتماعية والثقافية الفريدة للمجتمع الإسبرطي؛ فقد كان الإسبرطيون جزءًا من مجتمع عسكري أكد على الانضباط والولاء والخدمة للدولة فوق المساعي الفردية وكان تركيزهم على الحفاظ على قوة واستقرار مدينتهم هو الأهم عندهم بدلاً من السعي لتحقيق مكاسب شخصية من خلال العمل كمرتزقة والدليل على ذلك ما ذكره بوليبيوس(١) عن عودة زانثيبوس لوطنه في بلاد اليونان بعد الانتهاء من معركة تونس.

وفي النهاية تتوصل الباحثة إلى أن استعانة القرطاجيين بالقائد زانثيبوس الإسبرطي في معركة تونس، ليس لأن الإسبرطيين مشهورين بالعمل كجنود مرتزقة، ولكن لأن قرطاجة كانت في موقف من الخطورة يستدعى الاستعانة بقوة الإسبرطيين في مواجهة خطر روما، وخاصة بعد دخول روما لأفريقيا وتدميرها للريف الإفريقي، وتهديد قرطاجة بقيادة ريجولوس، والدليل على ذلك هو الاستعانة بزانثيبوس كقائد إسبرطي ومعه فرقته العسكرية، حتى إنهم أسندوا له مهمة تدريب الجنود القرطاجيين قبل معركة تونس، وليس هذا فحسب بل جعلوه على قيادة الجيش القرطاجي في هذه المعركة الذي أدى فيها بمهارة حتى أنه تمكن من أخذ القائد الروماني ريجولوس أسيرًا في أفريقيا.

ذلك القائد الذي بلغ من السمو الأخلاقي والشجاعة ما جعله يتحمل من ألوان العذاب في الأسر في السجون القرطاجية، حتى إنه عندما اقترح عليه القرطاجيون عودته إلى روما نظير عودة الأسرى القرطاجيين الذين كانوا قد وقعوا في الأسر على يد الرومان وخاصة أنهم كانوا من النبلاء نجده (ريجولوس) يقسم غلى عودته للسجون القرطاجية مرة أخرى في حال عدم موافقة السيناتو على هذا الشرط (الاقتراح) وهو ما يثير تساؤلاً آخر وهو عن:

(1) Polybius. I. 36.2.

ثالثًا: ما دلالة القسم الذي أقسم به ماركوس ريجولوس بالعودة إلى قرطاجة في حال عدم موافقة مجلس السيناتو على تبادل الأسرى؟

وقد توقف شيشرون عند هذا الموقف الشجاع لريجولوس ليؤرخه له، حيث يذكر في إحدى فقراته ذلك قائلاً:

"iuratus missus est ad senatum, ut, nisi redditi essent poenis captivi nobiles quidam, rediret ipse, carthaginem". (١)

"ولما كان مرتبطًا بقسم، فقد أُرسله القرطاجيون إلى مجلس السيناتو، حيث أقسم على أنه إذا لم يرد الأسرى القرطاجيون من النبلاء فإنه يعود بنفسه إلى قرطاجة".

ويستطرد شيشرون في حديثه عن هذا السلوك الشجاع النبيل ـ من وجهة نظره – للقائد ريجولوس فيقول:

"At non debuit ratumesse, quoderat actum per vim, Quasi vero forti vis possit adhiberi.

Cur igitur ad senatum proficis cebatur, cum praesertim de Captivis dissuasurus esset ?

Quod maximum in eo est, id repreneditis, Non enim suo iudicio stetit, sed suscepit causam, ut esset iudicium senatus; cui nisi ipse auctor fuisset, captivi profecto poenis redditi essent; ita incolumis in patria Regutus restitisset. Quad quia patriae non utile putavit, idcicro sibi honestum et sentire illa et pati credidit Nam quod aiunt quod valde utile sit, id fieri honestum, immo vero esse, non feri. Est enim nidil utile quod idem non quia utile, honestum sed, quia honestum utile".(٢)

"إنهم يجادلون ضد ريجولوس في ذلك القسم الذي تم انتزاعه منه بالقوة بأنه لم يكن ملزمًا على الإطلاق وكأن القوة يمكن أن تستخدم ضد رجل شجاع ! . لماذا إذن قام برحلته إلى مجلس الشيوخ وخاصة عندما كان ينوى يترافع ضد أسرى الحرب؟ وها أنتم تنتقدون ما هو أشمل وأنبل ملمح (سمة) في تصرفه هذا.... فقد كان بإمكان ريجولوس أن يظل آمنًا في وطنه، ولكن لأنه

(1) Cicero, 3. 99.

(2) Cicero, 3, 110.

اعتقد أن هذا ليس في صالح وطنه، فقد اعتقد أنه من الواجب أخلاقيًا عليه أن يعلن إدانته ويعاني من أجل قراره".

ونلاحظ هنا أن شيشرون يؤكد على موقف ريجولوس وارتباطه بقسمه الذي أقسمه أمام القرطاجيون بأنه سيعود إليهم إذا لم يوافق مجلس السيناتو على تبادل الأسرى، وهو ما يمكن أن نستدل منه أن إشارة شيشرون إلى موقف ريجولوس إنما هو دلالة على عظمة ونبل أخلاقه – والتي تمثل عند شيشرون النموذج الحقيقي والذي يجب أن يكون للأخلاق الرومانية – وهو ما يعكس قوة روما وعظمتها. فقد أصر ريجولوس على الوفاء بالقسم مهما كانت العواقب وبصرف النظر عن ذلك المصير البائس الذي سيلاقيه عند عودته للسجون القرطاجية مرة أخرى حيث إنه توفى في الأسر بسبب الإهمال والجوع(١)، ويؤكد شيشرون كذلك على أن ريجولوس لم يكن ملزمًا على الإطلاق بتنفيذ هذا القسم بعد أن وصل إلى روما ولكن هذا يرجع إلى سمو نفسه وشجاعته. وحفاظًا على التقاليد الرومانية، حيث إن ريجولوس طلب من مجلس الشيوخ رفض شروط السلام القرطاجية(٢)، وآثر العودة إلى التعذيب في السجون القرطاجية فضلاً عن التقليل من اسم روما أو إهانتها أمام قرطاجة.

هذا الموقف التاريخي لريجولوس هو ما سجله شيشرون بوصفه نموذجًا للاستقامة الأخلاقية ليس هذا فحسب بل قام بمقارنته بغيره من هؤلاء الذين ينظرون إلى مصالهم وأهوائهم الشخصية دون اعتبار الأخلاق والواجب الذي يقتضيه الأمر منهم في مثل تلك المواقف؛ حيث أشار إلى ذلك في إحدى فقراته:

"sed. Utlaudondus Regulus in conservando iure iuarando, sic decem illi, quos post cannensem pugnam iuratos ad senatum misit Hannibal se incastra redituros ea, Quorum errant potiti poeni, nisi de redimendis

(1)Drummond, Andrew. (2012). Atilius Regulus Marcus. In hornblower, Simon. (eds.). Oxford Classical dictionary, Oxford Univ. Press.;
Scullard, H.H. (1989). "Carthage and Rome". In Walbank. (eds). The Rise of Rome to 220BC. Cambridge Ancient History. Vol. 7. Cambridge Univ. Press, p. 556;
Frank, Jenny (1926). "Two Historical Themes in Roman Literature, "Classical Philology. 21 (4). p. 311.

(2) Quintus Curtius. (2018), on Moral Ends, Fortress of the Mind Publications, p. 138.

captivis im petravissent, si nonredierunt vituperandi. De quibus non omnes uno modo; nam Polybius, bonus auctor in primis, ex decem nobilissimis, qui tum erant missi, novem revertisse dicitie a senatu non impetra ta; unum ex decem, qui Paulo post, quam erat egressus e castris, redisset, quasi a liquid esset oblitus, Romae remansisse, reditu enim incastra liberatum se esse irue iurando interpretabatur, nonrecte; faus enim astringit, non dissolvit periurium. Fuit igitur stutta calliditas perverse imitata prudentiam. I taque decrevit senatus, ut ille veterator et callidus vinctus ad Hannibalem igitur stulta calliditas perverse imitate prudentiam. Itaque decrevit senatus ut ille veterator et callidus vinctus ad Hannibalem

duceretur".(١)

"الآن، وكما أن ريجولوس يستحق كل الثناء لكونه وفيًا لقسمه، كذلك أولئك العشرة الذين أرسلهم القائد هانيبال إلى مجلس الشيوخ للإفراج المشروط. فإذا كان من الصحيح أنهم لم يعودوا؛ فقد أقسموا على عدم العودة إلى المعسكر الذي سقط في أيدي القرطاجيين، إذا لم ينجحوا في التفاوض على تبادل الأسرى.

ويذكر بوليبيوس أحد أفضل المصادر أن تسعة من هؤلاء النبلاء العشرة البارزين الذين أرسلوا في ذلك الوقت عادوا عندما فشلت مهمتهم على أيدي السيناتو ولكن واحدًا هو الذي عاد بعد فترة وجيزة من مغادرة المعسكر بحجة أنه نسى شيئًا ما بقي في روما، وأوضح أنه بعودته إلى المعسكر أصبح معفيًا من التزامه بواجباته. لقد كان هذا الشخص مخطئًا فالخداع لا يزيل ذنب الحنث باليمين بل يزيده سوءًا. لذا فإن مكره الذي حاول بوقاحة أن يتنكر به في هيئة حكمة لم يكن سوى حماقة، ولهذا أمر السيناتو بإعادة هذا المحتال الماكر إلى هانيبال مقيدًا بالسلاسل".

مما سبق يمكن أن نستنتج من تلك الفقرة أن ما قام به شيشرون من مقارنة بين سلوك ريجولوس الذي يدل على أخلاقه النبيلة وسمو نفسه وشجاعته في مثل ذلك الموقف مقارنة بغيره الذي فضّل مصلحته الشخصية على أداء الواجب وهو ما وصفه شيشرون بالوقاحة والحماقة.

(1) Cicero. 3. 113.

من ذلك تتوصل الباحثة إلى أنه ربما كان قصد شيشرون من تلك الإشارة التي ذكر فيها ريجولوس فإنه على الرغم من قوة هذه الشخصية كقائد عسكري وسياسي قدير، وعلى الرغم من انتصاراته إلا أنه لم يرى شيشرون في تلك الأعمال السابقة العظمة والنبل بقدر ما رأى ذلك في ما فعله ريجولوس كأسير لدى القرطاجيين، حيث موقفه الذي يدل على الصدق والشجاعة التي لا تتزعزع مقارنة بالآخرين الذين تعرضوا لنفس الموقف إلا أنهم آثروا مصالحهم الشخصية في النهاية، وهو ما يدل على نظرة شيشرون إلى ريجولوس ومدى العمق الذي يظهر في شخصيته، ونظرته إلى الأخلاق والواجب دون الأشياء الأخرى التي كان يراها أنها زائلة.

وهناك بعض المؤرخين الذين تأثروا بموقف ريجولوس إزاء هذه القضية ومنهم المؤرخ جايوس سيمبرونيوس تودتيانوس والذي يشير إلى موقف ريجولوس الشجاع أمام مجلس السيناتو في قضية تبادل الأسرى القرطاجيين؛ حيث يذكر أنه (شيشرون) عمد إلى تخريب المفاوضات، وعاد إلى سجون القرطاجيين الذين قتلوه جوعًا(١). ويتناول القديس أوغسطين هذه القصة من منظوره باستخدام صياغة مماثلة لتلك التي استخدمها شيشرون حيث إنه (أوغسطين) يمدح ريجولوس لأخلاقه وفضيلته وشجاعته سواء في تقديم المشورة لروما بشأن قضية تبادل الأسرى أو في الوفاء بقسمه(٢)، حتى أنه تحمل الموت في سبيل ذلك حيث يذكر أن القرطاجيين حبسوا ريجولوس في صندوق ضيق، وأجبروه على الوقوف فيه، وثبتوا حوله مسامير حادة بدقة، حى لا يتمكن من الإتكاء على أي جزء منه دون ألم شديد، وهو ما يعتبر نموذجًا للشرف والشجاعة

---

(١) كان جايوس سيمبرونيوس توديتانوس سياسيًا ومؤرخًا للجمهورية الرومانية، وكان قنصلاً في عام ١٢٩ ق.م. راجع:

Frank, Tenney, (1926), op. cit., p. 311;

راجع أيضًا:

Bleckmann, Bruno. (1998), "Regulus bei Naevius Zufrg. 50 and 51 Blansdorf". Philologus (in German) 142 (1): pp. 61- 70.

(2) Geoffrey. Holsclaw. (2016), transcending subjects, Augustine, Hegel and Theology, Wiley. pp. 191- 199;
Augustinus. De Civitae Deilibro. IC. 14.

=وقد أطلق أغسطين على ماركوس ريجولوس لقب إمبراطور الشعب الروماني. راجع أيضًا:

"Imperator Populi Romani"

Robert. G. Sullivan. Meriem Pagès, (2016), Imagining the self Constructing the past selected proceedings from the 36th Annual Medieval and Renaissance Forum, Cambridge Scholars Publishing, p. 77.

والأخلاق الرومانية، حيث إنه فضَّل أداء واجبه تجاه روما عن نفسه ومصلحته الشخصية وهو ما يصل بنا إلى السؤال التالي وهو:

رابعًا: لماذا رفضل القنصل ماركوس ريجولوس الإدلاء بصوته في مجلس السيناتو عندما عاد إلى روما، ذلك الموقف الذي توقف عنده شيشرون؛ حيث إنه يعكس أول التزام من ريجولوس بأداء الواجب الأخلاقي على أكمل وجه؛ حيث رفض الإدلاء بصوته في قضية تخصه هو شخصيًا مبررًا ذلك بأنه أسير حرب ولم يعد عضوًا بمجلس السيناتو.

وهنا يقول ريجولوس:

"I taque quid fecit ? In senatum venit, mandata expo suit, sententiam ne diceret recusavit, quam diu iure iurando honstium teneretur non esse se senatorem. Atque illud etiam".(١)

"ماذا فعل إذن – يقصد ريجولوس – فقد جاء للسيناتو وعرض قضيته؛ لكنه رفض أن يعطي صوته (يدلي بصوته) عندما سئل عن ذلك؛ لأنه لم يعد عضوًا في هذا المجلس بعد. حيث إنه كان مُلزمًا (مرتبطًا) بالقسم الذي أقسمه لأعدائه".

من الفقرة السابقة نلاحظ أن شيشرون يشير إلى موقف ريجولوس عندما ذهب إلى مجلس السيناتو لعرض قضيته والخاصة بالتفاوض حول تبادل الأسرى القرطاجيين، فإنه وبعد أن عرض القضية على المجلس فإنهم توقفوا للتصويت(٢) عليها وعندما طلب منه أن يدلي بصوته

(1) Cicero, 3. 100.

(٢) كان مجلس الشيوخ هو الجمعية الحاكمة والاستشارية للأريستقراطية في الجمهورية الرومانية القديمة، وكان يتم تعيين أعضائه من قبل القناصل، وبعد ذلك من الرقباء، وقد كان يتم الدعوة للتصويت عن طريق القاضي أو رئيس المجلس، وكان ضرورة اكتمال النصاب من الإجراءات المطلوبة للتصويت، ففي عام ٦٧ ق.م تم تحديد النصاب القانوني عند ٢٠٠ عضو. وكان هناك حق لنقض أي اقتراح قبل تمريره، وكان للتريبيون العامة حق في نقض أي قانون تم اقتراحه في مجلس الشيوخ إذا لم يوافق عليه تريبيون العامة، وبنهاية الحرب البونية الثانية عام ٢٠١ ق.م كان للعديد من القناصل حق النقض ضد أعمال المجلس على الرغم من عدم امتلاكهم للسلطة القانونية للقيام بذلك، وإذا لم يكن هناك حق النقض وكانت المسألة ذات أهمية ثانوية، فيمكن التصويت عليها بالتصويت الصوتي أو برفع الأيدي، وقد كان يتم إضافة أي اقتراح تم تمريره ولم يتم رفضه في المجلس بعد التصويت عليه، حيث كان يتم نسخ كل وثيقة نهائية بواسطة القاضي الرئيس. وتتضمن الوثيقة اسم القاضي الرئيس، ومكان الاجتماع، والتاريخ المعني، وعدد أعضاء مجلس

فإنه رفض ذلك على اعتبار أنه لم يعد عضوًا في المجلس، ولكنه أصبح أسيرًا وبالتالي لايحق له أن يمارس حقه كعضو في المجلس وهو ما يرى فيه شيشرون موقفًا شجاعًا؛ حيث إنه ربما كان يستطيع من خلال الادلاء بصوته التوصل إلى رأي يعود عليه بالمنفعة الشخصية[١]، إلا أنه رفض ذلك وليس هذا فحسب بل إنه حثهم (مجلس الشيوخ) على عدم قبول عملية تبادل الأسرى وهو ما جعله في نظر البعض رجل أحمق حيث ذكر ذلك شيشرون في فقرة أخرى:

"o stultum hominem" dixerit quispiam, "et repugnantem utilitati suae!" reddi captivos negavit esse utile; illos enim adulescentes esse et bones duces, se iam confectum senectute".[٢]

"وأكثر من ذلك فإنه يقال عنه: "يا له من رجل أحمق"، كما قد يقول البعض، "يعارض مصالحه الخاصة". وقال أنه ليس من المناسب إعادة السجناء لأنهم كانوا شبابًا وضباط شجعان، بينما هو كان قد انحنى بالفعل بسبب تقدمه في العمر".

ونلاحظ هنا أن شيشرون يذكر أن ما فعله ريجولوس في مجلس السيناتو ربما يعتبره البعض على أنه حماقة أو تصرف أحمق فهو لا ينظر إلى مصلحته الخاصة ولا يرى ما وصل به من تقدم في العمر في مقابل أن يحافظ على قسمه. ولكن شيشرون يرد على مَنْ ينعت ريجولوس بالحماقة فيرد على ذلك في فقرة أخرى قائلاً:

الشيوخ الذين كانوا حاضرين في وقت تمرير الاقتراح، وأسماء الشهود على صياغة الاقتراح، ثم يتم إيداع الوثيقة في المعبد الذي يضم الخزانة (الإيراريوم). راجع:

Lintott, Andrew. (1999) The Constitution of the Roman Republic, Oxford Univ. Press, p. 83;

Byrd. Robert. (1995). The Senate of the Roman Republic. US Government Printing office Senate Document, pp. 34, 44;

Abbott, Frank, Frost. (1901). A History and Description of Roman Political Institutions. Elibron Classics, p. 233;

وعن القواعد والضوابط التى تحكم مجلس السيناتو راجع:

Lintott. Andrew.(1999). p. 70.

Lily. Ross. Talyor. (2003), Roman Voting Assemblies, From the Hannibalic War to the Dictatorship of Caesar, Michigan Univ. Press, p. 8.

(1) Geoffrey. Holsclaw. (2016), op. cit., p. 199.

(2) Cicero, 3. 100.

"Atstulte, qui non modo non censuerit coptivos remittendos, verum etiam dissaserit. Quo modostulte? Etiamme, si repi publicae conducebat?

Potest autem. quod inutile reipublicae sit, id cuiquam civi utile esse?"(١)

"ولكن قد تقول كان من الحماقة منه ليس فقط عدم الدعوة إلى تبادل الأسرى بل وحتى الدفاع ضد مثل هذا الإجراء. كيف كان هذا حماقة (تصرف أحمق)؟ هل كان كذلك حتى لو كانت سياسته لصالح الدولة؟ كلا، لا يمكن أن يكون ما هو غير مناسب للدولة يكون مناسبًا لأي فرد".

في هذه الفقرة يرد شيشرون على من يقف ضد ريجولوس في قراره الذي اتخذه في مجلس السيناتو واتهمه بالحماقة فإن شيشرون يوجه تساؤلاً لمثل هؤلاء فيقول كيف كان هذا حماقة؟ هل كان كذلك حتى لو كانت سياسته لصالح الدولة؟

ولم ينتظر إجابة على هذا التساؤل بل إنه يرد – من وجه نظره – قائلاً كلا: لايمكن أن يكون ما هو غير مناسب للدولة، يكون مناسبًا لأي فرد". وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن شيشرون يربط مصلحة الفرد بمصلحة الدولة(٢)، أي أن الفرد يجب أن يسعى لكي ما هو في صالح الدولة حتى لو كان ذلك على حساب تضحيته بنفسه وبسعادته وبمصالحه الشخصية؛ هذا هو ما يراه شيشرون واجبًا على كل فرد يحمل المواطنة الرومانية، فإنه يجب أن يقدم مصلحة وطنه روما عن مصلحته الخاصة؛ لأن هذا ما يقتضيه الواجب.

ويستطرد شيشرون في دفاعه عن موقف ريجولوس التاريخي أمام مجلس السيناتو مستنكرًا على الذين يجادلون أو يقفون ضد ريجولوس في موقفه فيقول:

---

(1) Cicero, 3. 101.

(٢) وهناك إشارة أخرى إلى نموذج من نماذج المواطن الروماني الذي يضحي بنفسه لصالح روما؛ حيث يذكر المؤرخ فاليريانوس في كتابه الخامس قصة الجندي ماركوس كورتيوس الذي ألقى بنفسه في فتحة واسعة في باطن الأرض كانت قد تعرضت لها روما وكان المواطنون يخشونها بشدة فقفز ماركوس كورتيوس مسلحًا بكل أسلحته كجندى إلى هذه الهاوية لإغلاق الفتحة وتحرير المدينة من هذا الخطر. حيث كانت هناك نبوءة تقول بضرورة أن يلقي رجلاً بنفسه حيًا في هذه الفتحة، وقد تم ذلك وعادت الأرض إلى حالتها بعد أن ألقى ماركوس بنفسه فيها. لم يره أحد بعد ذلك أبدًا. راجع:

=Robert. G. Sullivan. Meriem Pagès, (2016), op. cit., p. 77- 78;
Johnthan. Hughes. (2022), op. cit., p. 307. =

"Pervertunt homines ea, quae sunt fundamenta naturae, cum utilitatem ab honestate seiungunt, omnes enim expetimus utilitatem ad eamque rapimur nec facere aliter ullo modo possumus. Namquis est, qui utilia fugiat? Aut quis potius, qui ea non studiosissime persequatur? Sed quia nusquam possumus nisi in laude, decore, hones tate utilia reperire, propterea illa prima et summa habemus, utiliatis nomen non tam splendidum quam necessarium ducimus".(١)

"يخالف الناس المبادئ الأساسية التي وضعتها الطبيعة، عندما يفصلون المصلحة عن الاستقامة الأخلاقية. حيث أننا نسعى جميعًا للحصول على ما هو مناسب لنا، وننجذب إليه بشكل لا يمكن مقاومته، فمن ذا الذي يستطيع أن يتخلى عن ما يناسبه؟ أو بالأحرى مَنْ ذا الذي لا يبذل قصارى جهده لتحقيق ذلك؟

ولكن ذلك لا يتحقق (نجده) في أي مكان آخر إلا في السيرة (السمعة) الطيبة، والسمو الأخلاقي واللياقة، حيث أننا ننظر لهذه القيم الثلاثة باعتبارها أول وأسمى أهدافنا، بينما ما نطلق عليه منفعة لا نعتبره مهمًا لكرامتنا بقدر ما نعتبره شيئًا أساسيًا (ضروريًا) للحياة".

ويمكن أن نتوقف قليلاً عند هذه الفقرة حيث يقوم فيها شيشرون بالتأكيد مرة أخرى على الصفات (القيم الأخلاقية) الحقيقية التي يجب أن يبحث عنها كل مواطن روماني ويسعى إليها لتحقيقها وهي السمعة الطيبة واللياقة والسمو الأخلاقي؛ ويقدم السبب وراء السعي لهذه القيم الأخلاقية، وهو أن تلك القيم هي المبادئ الأساسية التي وضعتها الطبيعة والتي يجب أن يسعى إليها كل فرد؛ لكن عندما يفصل الناس بين مصلحتهم الخاصة وتلك القيم الأخلاقية، فإنهم بذلك يقلبون موازين الطبيعة – وكأن شيشرون يريد أن يتوصل من ذلك إلى أن موقف ريجولوس وتمسكه بقسمه إنما هو شيئ يتناسب مع المبادئ الأساسية للطبيعة فهو لم ير مصلحته الشخصية ولكنه سعى وراء مايجب عليه وما يتوافق مع القيم الأخلاقية في مثل هذا الموقف – ومن هنا تتوصل الباحثة إلى أن شيشرون ينظر إلى ريجولوس في موقفه الذي اتخذه أمام مجلس السيناتو برفضه التصويت لصالح نفسه وقراره بالعودة لقرطاجة مرة أخرى حيث الأسر والتعذيب إنما هو كان نموذجًا للنبل والشجاعة والأخلاق، وهو بالنسبة لشيشرون موقف يجب أن يسجله

(1) Cicero, 3.101.

التاريخ لريجولوس؛ لأنه ما كان يبدو في عملية تبادل الأسرى على أنه عملية روتينية قد فسره ريجولوس على أنه تهديد وجودي أو على الأقل صفقة سيئة، إلا أنه وأمام هذا الموقف نجده لم يتردد في وضع حياته جانبًا من أجل مصلحة الدولة"[١].

وعلى الرغم من شجاعة ريجولوس في قراره الذي اتخذه في مجلس السيناتو برفض التصويت إلا أن مجلس السيناتو رفض[٢] العرض الذي تقدم به ريجولوس بعودة الأسرى وهو ما يدور حوله السؤال التالي:

خامسًا: لماذا رفض مجلس السيناتو المقترح الذي قدمه ريجولوس بالموافقة على تبادل الأسرى بين الجانبين؟

وقد عرض شيشرون في كتابته عن موقف مجلس السيناتو مما عرضه ريجولوس؛ حيث تم التصويت في المجلس بالرفض وهو ما أشار إليه شيشرون:

"Cuius Cum Valuisset auctoritas, captive retenti sunt, ipse carthaginem redüt, neque eum caritas patriae retinuit nec suorum. Neque vero tur ignorabat sead crudelissimum hostem et ad exquisita supplicia proficisci, sed ius iurandum. Consevandum putabat. Itaque turn, cum vigilando necabatur, erat in meliore causa, quam si domi senex captivus, periurus consularis remansisset".[٣]

"وعندما رفض السيناتو عودة الأسرى، فقد عاد بنفسه (ريجولوس) لقرطاجة حيث فشلت عاطفته تجاه وطنه وعائلته في إبقائه (بقائه)؛ ورغم أنه لم يكن يجهل حقيقة أنه كان ذاهبًا إلى عدو قاسْ للغاية وإلى عذاب شديد، إلا أنه كان يعتقد أن قسمه يجب أن يحترم. وحتى في ذلك الوقت عندما كان يواجه الموت ببطئ فإنه كان أكثر سعادة عن بقائه في المنزل أسير حرب مسنًا، رجلاً تم التخلي عنه من رتبة القنصلية".

---

(١) راجع:

Robert. G. Sullivan. Meriem Pagès, (2016), op. cit., p. 78.

(2) Robert. G. Sallivan (2016), op. cit., p. 80;
Niccolò. Machiavelli. (2009), Discourses on Livy, University of Chicago Press, p. 211.

(3) Cicero, 3.100.

ونلاحظ من الفقرة السابقة أن شيشرون يعرض لموقف مجلس السيناتو مما عرضه ريجولوس؛ حيث إنه (مجلس السيناتو) لم يتردد في رفضه لما قاله ريجولوس، ربما كذلك أنه رأى أن ريجولوس لم يكن يحتاج حتى لعرض ذلك الموضوع على مجلس السيناتو حيث إنه (ريجولوس) وصل بالفعل إلى روما ولم يستطع أحدًا أن يعيده إلى الأسر في قرطاجة مرة أخرى، وبذلك فإنه ليس هناك ما يستدعي أن يتخذ ريجولوس قراره بالحفاظ على قسمه والوفاء به، والعودة إلى قرطاجة مرة أخرى حيث التعذيب، أي أن مجلس السيناتو لم يجبر ريجولوس على العودة إلى القرطاجيين من قِبَل الشعب الروماني، بل يمكن تفسير ذلك أيضًا كإشارة إلى أن الرومان لم يتركوه يختار مصيره فحسب، بل كانوا ضد السماح له بالعودة إلى القرطاجيين، وقد كان لمجلس السيناتو حججه ومبرراته التي قدمها لتفسير سببه لرفضه لما عرضه ريجولوس، وليس هذا فحسب بل التعجب من سبب تمسك ريجولوس بقسمه.

ففي فقرة تالية يقدم شيشرون الحجج[١] التي قدمها مجلس السيناتو ضد إخلاص ريجولوس لقسمه حيث قال:

"Quid est igitur, dixerit quis, in iure iurando? num iratum timemus lovem?.... "qui deum nihil habere ipsum negotii, nihil exhibere alteri, …. Quid autem iratus Iuppiter plus nocere potuisset, quam nocuit sibi ipse Regulus Nulla igitur vis fuit religionis, quai tantam utilitatem perverteret. An ne Turpiter Faceret? Primum minima de malis, Num igitur Tantum mali Trupitude ista habebat, quantum ille Cruciatus?... Addunt etiam. Quem ad modum nos dicamus Videri quaedam utilia, quae non sint sic se dicere videri quaedam honesta, quae non sint" ut hoc ipsum videtur honestum, conser vandi iris iurandi causa ad cruciatum revertisse; sed fit non honest um, quia, quod per vimhostium esset actum, ratumesse non debuit". Addunt etiam, quicquid valde utile sit, id fieri honestum. etiamsi; antea non videretur. Hae ferre contra Regulum".[٢]

"قد يقول أحدهم، ما تلك الأهمية التي يتوقف عليها هذا القسم؟ هل الخوف من غضب الإله جوبيتر؟ إذا كان كذلك فإن الرد على هذا التساؤل بالنفي تمامًا.. لأن الله لا يغضب أبدًا ولا

(1) Raphael. Woolf. (2015), Cicero, The Philosophy of a Roman Sceptic. Taylor & Francis, p. 141.
(2) Cicero, 3. 102- 103.

يؤذي أبدًا.. وحتى إذا كان الإله غاضبًا فما الضرر الأعظم الذي يمكن أن يلحقه بريجولوس أكثر مما ألحقه هو بنفسه؟!

وبالتالي لم يكن للجانب الديني قبل تلك الأهمية التي تتفوق على مصلحته الشخصية أم أن هناك سببًا آخر وهو أنه إذا كان خائفًا من أن يكون تصرفه خاطئًا من الناحية الأخلاقية، فإن هناك مثل يقول: "اختر الأقل شرًا أو (اختر أخف الأضرار). فهل ينطوي هذا الخطأ الأخلاقي حقًا على شر أعظم من ذلك التعذيب الرهيب؟

أما عن حجتهم الثالثة التي قدموها، فقد دار جدلاً حول أن بعض الأشياء قد تبدو صحيحة أخلاقيًا لكنها ليست كذلك "على سبيل المثال" فهم يتجادلون في هذه الحالة بالذات بأنه قد يبدو صحيحًا من الناحية الأخلاقية بالنسبة لريجولوس أن يعود إلى التعذيب من أجل أن يكون صادقًا في قسمه. لكنه ثبت أنه ليس صحيحًا من الناحية الأخلاقية لأن ما ابتزه العدو بالقوة لا ينبغي أن يكون ملزمًا. تلك هي الحجج التي أثيرت ضد سلوك ريجولوس".

ويمكن أن نتوقف عند هذه الفقرة، حيث نجد أن شيشرون حاول من خلال تلك الفقرة تقديم الحجج التي قدمها مجلس السيناتو كمبرر لرفضه واعتراضه على اقتراح ريجولوس بتبادل الأسرى وكانت تلك الحجج في صورة تساؤلات حول السبب الذي جعل ريجولوس يتمسك بقسمه ويعود للأسر ويفضل التعذيب عن البقاء في روما(١)، وتلك التساؤلات كانت حول السبب أو الدافع هل كان دافعًا دينيًا أم دافعًا أخلاقيًا؟ وقد كانت الإجابة التي قدمها شيشرون لهذه التساؤلات هي بالنفي القاطع، فهو لا يرى أن هناك دافعًا دينيًا وراء تمسك ريجولوس بالوفاء بقسمه؛ لأن فكرة الخوف من الإله – يقصد الإله جوبيتر – ليست واردة لأن الإله – كما ذكر شيشرون – "لا يغضب أبدًا ولا يؤذي أبدًا"، تلك كانت عقيدة هؤلاء الذين يعتقدون أن الإله لا ينظر إلى أذى البشر، بل إنه كان يعمل دائمًا ويوجه عالمه إلى الأبدية(٢)؛ وحتى على فرض أن

(١) كان تمسك ريجولوس بقسمه هو رؤيته واعتقاده التام بأنه يقوم بأداء ما عليه من واجب تجاه روما. راجع:
Raphael Woolf, (2015), The Philosophy of a Roman Sceptic, p. 199;
Jonathan. Huges. (2022), Dante's Divine Comedy in Early Renaissance England, p. 158.

(٢) وقد رأي الأبيقوريون أن الإله لا يؤذي البشر ولا يهتم بشقائهم أو بؤسهم أو حتى محاولة إدارة العالم وتدبير أموره، أما عن فكرة الإله عند شيشرون فقد كانت تلك النقطة تمثل خلافًا بين الأبيقوريين والرواقيين؛ حيث

الإله كان غاضبًا على ريجولوس فما الأذى الذي يمكن أن يلحقه الإله بريجولوس أكثر مما لحقه ريجولوس بنفسه بعودته إلى الأسر مرة أخرى والتعذيب في سجون القرطاجيين. ومن هنا يمكن أن نستنتج ان الدافع وراء تمسك ريجولوس بقسمه لم يكن دافعًا دينيًا.

أما عن الدافع الأخلاقي فإن شيشرون ذكر أن هناك خلافًا وجدالاً حول ما إذا كان الدافع وراء تمسك ريجولوس بقسمه هو دافعًا أخلاقيًا، فهذه القضية أثارت جدلاً عند البعض بأن ما يبدو أخلاقيًا عند البعض يبدو على العكس عند البعض الآخر، وهو ما أوضحه شيشرون بمثال وهو "اختر الأقل شرًا"، وليس هناك خطأ أخلاقي أكثر مما قدمه ريجولوس لنفسه عندما اختار التعذيب بدل من أن يتخلى عن قسمه، وهنا تتوصل الباحثة إلى أن غرض شيشرون الحقيقي هو التأكيد على أن ريجولوس كان يتمسك بالأخلاق الرومانية، وأن هدفه الحقيقي هو تحقيق مجد حقيقي، وليس مجدًا زائفًا، وتحقيق مجد روما وعظمتها وذلك برفع اسمها كارتفاع الكابيتول الذي يوجد على قمته الإله جوبيتر.

وعلى هذا فقد كان كل ما يراه الأخرون من أشياء أو منافع تعد بالنسبة لهم على درجة من الأهمية فإن ريجولوس لم يكن يراها على هذا النحو بل كانت من وجهة نظره أشياء لا قيمة لها، وهو ما يجيب عنه التساؤل التالي:

سادسًا: ما هي المنافع التي وجدها ماركوس ريجولوس عندما عاد إلى روما، وما رأيه فيها ولماذا عاد إلى قرطاجة طواعية دون أن يمارس عليه أحد ضغط في هذا الاتجاه؟

وقد أشار شيشرون أو عودة ريجولوس إلى روما وما شاهده من أشكال عديدة للمنافع هناك حيث يقول:

"Is cum Romam venisset, utilitatis speciem videbat, sed eam, ut res declarant, falsam iudicavit, quae erat Talis; manereinpatria, esse domui suae cum uxore, cum liberis, quam calamitatem accepisset in bello,

---

شيشرون الذي كان يهاجم المبدأ الأبيقوري الذي ينادي بذلك؛ لأنه كان ينحاز في هذه القضية إلى الجانب الرواقي. راجع: مجدي السيد كيلاني؛ المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠١٣، ص ص ٦٨- ٦٩، ٢٢٤- ٢٢٥.

communem, fortunae bellicae iudicantem tenere consularisdignitatis gradum. Quis haec negat esse utilia? quem censes? Magnitudo animi et fortitudo negat".(١)

"ولما وصل إلى روما شاهد أشكالاً عديدة من المنافع الزائفة – من وجهة نظره – كالبقاء في الوطن، في منزله مع زوجته وأطفاله، ويحصل على مكانته كقنصل سابق معتبرًا الهزيمة التي تعرض لها بمثابة مصيبة قد تصيب أي شخص في الحرب. مَنْ ينكر هذه المنافع؟ مَنْ تخمن؟ السمو النفسي والشجاعة تقولان أنه لم يكن كذلك".

ونلاحظ من الفقرة السابقة أن شيشرون يوضح موقف ريجولوس عند عودته إلى روما من كل ما رآه من منافع حيث منزله وأسرته والبقاء معهم وعودته لمنصبه كقنصل وغيرها من المنافع التي يراها العديد من الأشخاص على أنها مهمة إلا أن شيشرون يوضح أن كل تلك المنافع لم تمثل أي إغراء لريجولوس على البقاء في روما، وقد قدم السبب وراء ذلك هو أن كل تلك المنافع إنما هى – من وجهة نظر ريجولوس – هى منافع زائفة ولا تستحق ان يحنث في اليمين بسببها(٢). وقد قدم شيشرون ما يميز شخصية ريجولوس عن الآخرين وهو أنه لديه من السمو النفسي والشجاعة ما يجعله يتمسك بقسمه، ويرفض كل ما رآه في روما من إغراءات ومنافع بل ويعود طواعية إلى قرطاجة(٣) – على الرغم من اعتراض مجلس السيناتو ورفضه لما عرضه عليه – ويسلم نفسه إلى الأسر ويتعرض للتعذيب حتى نهاية حياته ومن ناحية أخرى فإن

---

(1) Cicero, 3.99.

(٢)كان شيشرون أول من دافع عن ريجولوس في قراره بالتمسك بقسمه والعودة إلى قرطاجة، وقد صور القديس أوغسطين ريجولوس كمثالاً نبيلاً للتحمل الطوعي للأسر في سبيل الدين. وهو ما يمكن أن يعتبره – من وجهة نظره – نموذجًا ينبغي للمسيحيين أن يقلدوه. راجع:

Jed. W. Atkins. (2024). The Christian Origins to Tolerance, Oxford, p. 201; Andrew. Roy. Dyck, (1996), A commentary on Cicero, De officiis, University of Michigan Press, p. 621.

(3) Robert. G. Sullivan. (2016), op. cit., p. 78, 79.

وهناك أمثلة أخرى عن شخصيات فضلت تحقيق مجد روما ومصلحة المجتمع الروماني على المصلحة الشخصية حتى ولو كانت على حساب أقاربهم وهو ما ظهر في قصة توركواتوس الذي أشار إليه= =أوغسطين في كتاته "مدينة الله" أنه كان أميرًا رومانيًا قتل ابنه ليس لأنه حارب ضد بلاده، بل من أجلها؛ لأن ابنه تصرف ضد قيادته، وضد ما أمر به. فقد فضل هذا الأمير مصلحة المجتمع على المصلحة الشخصية. وعن هؤلاء الرجال الفاضلين من العصور القديمة راجع:

Robert. G. Sullivan. (2016). pp. 80, 81, 82.

إصرار ريجولوس على العودة إلى القرطاجيين ليس لأنه كان قنصلاً وقائدًا للجيش الروماني آنذاك، وإنما إصراره للعودة كان على أساس أنه مواطنًا رومانيًا وممثلاً للشعب الروماني وللأخلاقيات الرومانية المعروفة، فإذا حنث بقسه فإن هذا يعنى أن روما هى التي ستفقد شرفها ومجدها وعظمتها.

ومن هنا تتوصل الباحثة إلى أن شيشرون كان يرى في ريجولوس نموذجًا للأخلاق الرومانية التي يجب أن يتصف بها أي مواطن يحمل الجنسية الرومانية، فهو لديه من السمو النفسي والشجاعة ما يمكنه من تحمل الصعاب في سبيل تحقيق المجد الحقيقي والتأكيد على عظمة روما ومكانتها.

وقد توقف شيشرون عند قسم ريجولوس من ناحية أخرى وهو قسمه بالإله جوبيتر، وهو ما يثير تساؤلاً أخيرًا في هذا الجانب وهو:

سابعًا: لماذا يعتبر قسم ماركوس ريجولوس بجوبيتر رمزًا للأخلاق الرومانية عند الوفاء به؟

وهنا تناول شيشرون ذلك في إحدى فقراته حيث يقول:

"Haec quidem ratio magis contra Reguli quam contra omne ius iurandum valet. Sed in iure iurando non qui metus, sed quae vis sit, debet intellegi, est enim ius iurandum affirmatio religiosa; quod autem affirmate quaasi deo teste promiseris, id tenendum est. I am enim non ad iram deorum, quae nulla est, sed ad iustitiam et ad fidem pertinent."(١)

"إن ريجولوس لم يكن خائفًا من أن يتسبب غضب جوبيتر عليه في أذى له، فهو لم يكن مضطرًا إلى الغضب أو الإيذاء" هذه الحجة لم يكن لها وزن (على الإطلاق) أمام قسم ريجولوس أكثر منها في الحفاظ على أي قسم آخر. ولكن عند أداء القسم، من واجبنا ألا نفكر في ما قد يخشاه المرء في حالة انتهاكه، بل إن الالتزام يكمن في أن القسم هو ضمان للوفاء مدعوم بالقداسة الدينية والوعد المهيب الذي يقدم أمام الإله كشاهد على هذا القسم الذي يجب الوفاء به على

(١) Cicero, 3. 104. ؛ راجع أيضًا: Cicero, 3. 102- 105.

أكمل وجه. تلك المسألة إذن لا تتعلق بغضب الآلهة، بل الأمر يتعلق بالالتزام بالعدالة وحسن النية".

ويمكن التوقف عند هذه الفقرة التي يوضح فيها شيشرون أنه عندما أقسم ريجولوس أمام القرطاجيين بالإله جوبيتر، ثم تمسك بقسمه[١]، فإن هذا لم يكن بسبب خوفه من غضب الإله جوبيتر عليه في حال حنثه بقسمه، بقدر ما كان هذا فيه تمسك بالأخلاق الرومانية والواجب، ونلاحظ هنا أن شيشرون يناقش قضية الخوف من الآلهة[٢] أو موقف الآلهة من البشر، تلك القضية التى يقوم شيشرون من خلالها إسقاطًا على المجتمع الروماني آنذاك والذي كان ينتشر فيه المذهبين الرواقي والإبيقوري ويسيطران عليه، وهو ما انقسم عليه المجتمع، فقد كانت الرواقية يتبعها (يعتنقها) الأريستقراطيين والنخبة والتي بالمناسبة كان شيشرون واحدًا من أشهر أنصارها في القرن الأول ق.م[٣]، والتي كانت ترى أن "الإله لا يغضب ولا يؤذي"[٤].

وهذا على عكس ما تراه الإبيقورية[٥] والتي على الرغم من اعترافها بوجود الآلهة إلا إنها كانت تدعو إلى اللذة الحسية والمتعة وهو ما كان على العكس مما تدعو إليه الرواقية إلا أن هذا المذهب الأبيقوري كان يتبعه المواطنين العاديين، وهنا نجد أن شيشرون من خلال تلك الفقرة يقدم إسقاطًا على المجتمع في تلك الفترة وانقسامه على هذين المذهبين بأفكارهما، وهو ما أثار مخاوف شيشرون؛ حيث إن هؤلاء المواطنين الذين يعتنقون أفكار المذهب الأبيقوري فإنهم يمثلون بذلك تهديدًا لمكانة ومجد وعظمة روما، وهو ما سيهدد في النهاية بانهيار روما ما لم يتمسك مواطنيها بإعلاء اسمها ومكانتها؛ وهنا تتوصل الباحثة إلى السبب الحقيقي الذي توقف عنده شيشرون في كتابه الواجبات عند شخصية ماركوس ريجولوس، واتخذه مثالاً[٦] من التاريخ

---

(١) راجع: Jed. W. Atkins, (2024), The Christian Origins to Tolerance. p. 200- 202;
Aurelius Augustine, (2024), The city of God, Volume, I Namas Kar Books, p. 594.

(2) Saint Augustine. (2010), The city of God, Books I- VII (The Fathers of the Church, vol. 8) Translation by: Gerald. G. Walsh, S. J. Demetrius. B. Zema., Catholic Univ. of America Press, pp. 24, 44.

(٣) راجع: مجدى السيد كيلاني، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، ص ٢٠١.

(٤) مجدى السيد كيلاني، نفسه، ص ٢٢٤.

(٥) مجدي السيد كيلاني، نفسه، ص ٦٨.

(6) Niccolò. Machiavelli. (2009), Discourses on Livy, University of Chicago Press, p. 211;

الروماني للقائد العسكري بحق، هو أنه كان يحافظ على القيم والأخلاق الرومانية، وذلك من خلال تمسكه بقسمه متنازلاً عن كل ما يسميه الآخرون بالمكاسب المادية أو المنافع الشخصية أو غيرها من الأمور الأخرى والتى كان يراها على أنها أمور زائفة وأنه فضل التعذيب بدلاً من أن يتنازل عن قسمه فإنه بذلك كان يسعى لتحقيق مجد حقيقي، ورغبة أصيلة في تحقيق مجد روما وعظمتها ورفع اسمها عاليًا، وهو ما كان يراه شيشرون – من وجهة نظره – واجبًا على كل مواطن روماني أن يدافع عن مجد وعظمة روما.

Jonathan. Hill, Anna Marmodoro. (2013), The Author's Voice in Classical and Late Antiquity, Oxford, p. 214;
Aurelius Augustine, (2024), The city of God, p. 594.

الخاتمة:

وفيما يلي تجمل الباحثة نتائج الدراسة على النحو التالي:

أولاً: فيما يتعلق بسر تفوق الرومان في الحرب البونية الأولى ضد قرطاجة فإننا نستطيع القول إن ذلك يرجع إلى قدرة الرومان على التكيف مع أي ظرف من الظروف وخلق رد فعل مضاد لأي خطة يستخدمها العدو، وقدرته على استخدام تكتيكات عسكرية وأسلحة لم يسبق لها مثيل، والاعتماد على عنصري الابتكار والمفاجأة.

ثانيًا: أما عن سبب وقوع ماركوس ريجولوس القائد الروماني في الأسر على يد القائد الأسبرطي زانثيبوس فإن ذلك لم يكن دليلاً على فشله أو ضعفه في المعركة، وإنما هو كان تدبيرًا ومؤامرة من قرطاجة للإيقاع به؛ نظرًا لما حققه من انتصارات على قرطاجة، وهو ما جعلها تقف عاجزة أمام تقدمه، وهو ما دفع بها للاستعانة بقوة خارجية وهو ذلك القائد الأسبرطي، والذي استطاع تدبير مؤامرة للإيقاع به في الأسر.

ثالثًا: وفيما يتعلق بدلالة استعانة القرطاجيين بقائد أسبرطي لتدريب الجنود القرطاجيين فإن ذلك يرجع لما تعرفه قرطاجة من خلفية عن قدرة الجنود الأسبرطيين ومهارتهم في القتال، وهو ما جعل قرطاجة تستعين بالقائد الإسبرطي زانثيبوس، والذي أثبت مهارته في قيادة الجيش الإسبرطي وتدريبه على مستوى احترافي لمقابلة الرومان في معركة تونس، ووضعه الخطة لهذه المعركة، وهو ما نتج عنه انتصار قرطاجة على روما ووقوع ريجولوس في الأسر، حيث تحمل التعذيب في السجون القرطاجية حفاظًا على قسمه الذي أقسمه أمام القرطاجيين عندما اقترحوا عليه بالعودة إلى روما للتفاوض مع السيناتو في تبادل الأسرى.

رابعاً: أما فيما يتعلق بدلالة القسم الذي أقسم به ماركوس ريجولوس بالعودة إلى قرطاجة في حال عدم موافقة مجلس السيناتو على تبادل الأسرى فإن تمسك ريجولوس بقسمه وإصراره على العودة إلى قرطاجة فإن دلالة ذلك كما أكد عليها شيشرون هو يرجع إلى أخلاقه النبيلة وسمو نفسه وشجاعته في مثل ذلك الموقف مقارنة بغيره الذي فضّل مصلحته الشخصية على أداء الواجب.

خامسًا: بالنسبة لرفض مجلس السيناتو لمقترح ريجولوس بالموافقة على تبادل الأسرى فإن ذلك الرفض كان سببه أن المجلس كان يرى أن ريجولوس موجود بالفعل داخل الوطن وأن

الأسرى القرطاجيين كانوا كذلك في حوزة الرومان؛ ومن ثم فلا داعي للتبادل طالما أن الأمر كله بيد مجلس السناتو، فضلاً عن أن المجلس لم يختبر فضيلة السمو النفسي التي كان يتمتع بها ريجولوس وظن المجلس أنه لن يعود إلي قرطاجة تحت أي ظرف من الظروف.

وقدم في ذلك أسبابًا منها أنه إذا تمسك بقسمه خوفًا من غضب الإله، فإن الإله لا يغضب ولا يؤذي، أما إذا كان متمسكًا بقسمه لسبب أخلاقي فإنه لا يوجد خطرًا أو شرًا أكثر مما ارتكبه ريجولوس في حق نفسه بقراره بعودته لقرطاجة.

سادسًا: أما عن المنافع التي وجدها ماركوس ريجولوس عندما عاد لروما، ورأيه فيها فإن كل ما وجده ريجولوس عندما عاد لروما من أشياء كعودته لبيته وزوجته وأطفاله وحتى لمنصبه كقنصل إنما هو من وجهة نظره منافع زائفة؛ ولذلك قرر العودة طواعية إلى الأسر مرة أخرى، وهو ما اعتبره شيشرون نموذجًا للأخلاق الرومانية حيث أنه لديه من السمو النفسي والشجاعة ما يمكنه من تحقيق المجد الحقيقي والتأكيد على عظمة روما ومكانتها، فإذا كان ريجولوس عاد إلى روما وبقى فيها ولم يكن لديه من السمو النفسي والشجاعة لما كتب عنه شيشرون بوصفه رمزًا للشجاعة والأخلاق الرومانية.

سابعًا: أما عن رؤية شيشروثن لوفاء ماركوس ريجولوس بقسمه بالإله جوبيتر على أنه رمزًا للأخلاق الرومانية عند الوفاء به؛ فإن ذلك لم يكن سببه الخوف من عضب الإله جوبيتر بقدر ما كان فيه تمسك بالأخلاق الرومانية والواجب الذي كان يتحتم عليه أن يقوم به تجاه قسمه كمواطن روماني، وهو ما كان إسقاطًا من شيشرون على المجتمع الروماني آنذاك، والذي كان ينقسم على مذهبين يكاد تأثيرهما على المجتمع الروماني يحل محل الآلهة وهما الرواقية ذلك المذهب الذي اعتنقه طبقة الأشراف ووجهاء القوم (Patricii) والإبيقوري الذي كان يتبعه الشعبيين أو العامة (Plebs)، ومدى تأثير هذين المذهبين على سلوك المجتمع الروماني، وهو ما آثار مخاوف شيشرون تجاه الأخلاق الرومانية والواجبات التي يجب على كل مواطن أن يقوم بها تجاه وطنه روما، وما دفعه (شيشرون) من ناحية أخرى إلى الكتابة عن ريجولوس بوصفه شخصية تاريخية تعتبر – من وجهة نظره – نموذجًا للقائد والمواطن الروماني الذي يحافظ على القيم والأخلاق الرومانية.

قائمة بالمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- مجدى السيد كيلاني: (٢٠١٣)، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، المكتب الجامعي الحديث.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Abbott. Frank. Frost.: (1901); A history and Description of Roman Political Institutions. Elibron Classics, Boston, London.
- Andrew. Roy. Dyck. (1996), A commentary on Cicero, De Officiis, University of Michigan Press.
- Atkins. Griffin.: (1991), Cicero: on Duties (Cambridge Texts in the History of Political Thought), Cambridge University Press.
- Aurelius. Augustine, (2024), The city of God, vol. 1, Namaskar Books.
- Bagnal. Nigel: (1999), The Punic Wars: Rome, Carthage and the Struggle for Mediterranean, London: Pimlico.
- Bert. Mulligan., The First Punic War (264- 241 BC), Dickinson College Press.
- Bleckmann. Bruno: (1998), "Regulus bei Naevius: Zufrg. 50 und 51 Blānsdorf": Philologus 142 (1). pp. 61- 70.
- Broughton. Thomas. Robert. Shannon: (1951), The Magistrates of the Roman republic. Vol. 1. New York, American Plilological Association.
- Byrd. Robert.: (1995), The Senate of the Roman Republic address on the History of Roman Constitution US. Government Printing Office, Washington.
- Casson. Lionel.: (1995), Ships and Seamanship in the Ancient World. Baltimore, Johns Hopkins Univ. Press.
- Connolly, Peter.: (2006), Greece and Rome at War, Green hill Books.
- Drummond. Andrew: (2012), "Atilius Regulus, Marcus in Hornblower, Simonietal. (eds.) The Oxford Classical Dictionary, (4^{th} ed.). Oxford University Press.

- Erdkamp, Paul.: (2015), "Man Power and Food Supply in the First and Second Punic Wars", in: John Wiley Press.
- Frank. Tenney. (1926), "Two Historical Themes in Roman Literature", Classical Philology- (21)(4), University of Chicago Press.
- Geofrrey. Holsclaw.: (2016), Transcending Subjects, Augustine, Hegel, and Theology, Wiley Press.
- Golds Worthy. Adrian: (2006), The Fall of Carthage: The Punic Wars 265- 146 B.C, Orion Publishing Group.
- Hanson. Victor Davis: (2007), Carnage and Culture: Landmark Battles in The Rise to Western Power. Kropf Doubleday Publishing Group.
- Haskell. H. J.: (1964), This was Cicero, Fawcett Publications.
- Hodkinson, Stephen.: (1996), "Agoge". In Horn blower. Simon (ed.), Oxford Classical Dictionary, Oxford Univ. Press.
- Hoyos. Dexter: (2016), A companion to The Punic Wars. Chichester, West Sussex: John Wiley Press.
- Jed. W. Atkins. (2024), The Christian Origins to Tolerance, Oxford.
- Jonathan. Hill, Anna Marmodoro. (2013), The Author's Voice in Classical and Late Antiquity, Oxford.
- Jonathan. Hughes.(2022), Dante's Divine Comedy in Early Renaissance England, The Collision of two Worlds, Bloomsbury Publishing.
- Lazenby. John.: (1996), The First Punic War: A military History Stanford, California: Stanford Univ. Press.
- Lily. Ross. Taylor.: (2023), Roman Voting Assemblies, from the Hannibalic War to the Dictatorship of Caesar, Michigan Univ. Press.
- Lintott. Andrew.: (1999), The Constitution of the Roman Republic, Oxford Univ. Press.
- Miles. Richard.: (2011), "Carthage must be destroyed". London: Penguin.
- Murray. William.: (2011), The Age of Titans: The Rise and Fall of the Great Hellenistic Navies, Oxford. Oxford Univ. Press.

- Niccolò. Machiavelli.: (2009), Discourses on Livy, University of Chicago Press.
- Quintus Curtius. (2018), on Moral Ends, Fortress of the Mind Publications.
- Rankov. Baris.: (2015), A war of Phases: Strategies and Stalemates" in Hoyos, Dexter (ed.)A companion to the Punic Wars. Chichester, West Sussex: John Wiley Publication.
- Raphael. Woolf. (2015), Cicero, The Philosophy of a Roman Sceptic. Taylor & Francis Publication.
- Rawson. Elizabeth.: (1975), Cicero A portrait, Allen Lane, Penguin Book.
- Robert. G. Sullivan. Meriem. Pagès.: (2016), Imagining the self constructing the past selected proceedings from the 36th Annual Medieval and Renaissance Forum, Cambridge Scholars Publisning.
- Saint Augustine. (2010), The city of God, Books. I-VII (The Fathers of the Church, vol. 8) translation by: Gerald. G. Walsh, S.J. Demetrius. B. Zema., Catholic Univ. of America Press.
- Scullard, H. H.: (1989), "Carthage and Rome". In Walkbank, Fw. (eds.), The Rise of Rome to 220 BC. Cambridge Ancient History, vol. 7. (2nd ed.). Cambridge University Press.
- Sidwell. Keith. C.; Jones. Peter. V., (1997), The World of Rome: An introduction to Roman Culture. Cambridge University Press.
- Tipps. G. K.: (1985), "The Battle of Exonomus", Historia: Zeitschrift fur Alte Geschichte. 34 (4): 432- 465, franz steiner verlage Publication.
- Tusa. Sebastiano & Royal, Jeffrey: (2012), "The Landscape of the Naval Battle at the Egadi islands (247 BC)", Journal of Roman Archaeology. 25. Cambridge Univ. Press.
- Walbank. Frank.: (1990), Polybius, vol. 1, Berkeley, University of California Press.